بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، ورضي عن آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين. أما بعد:

فقبل ما يزيد على عشرين عاماً استحدثت مؤسستنا قسماً جديداً يهدف إلى خدمة التراث العربي الإسلامي من خلال إحياء الكتب الهامة التي أُلفت وصُنفت في عصور الحضارة الإسلامية الذهبية.

وقام على هذا القسم علماء وطلبة علم شهد لهم بالمستوى العلمي المتميز والمنهج العلمي الدقيق، وكان من ثمرة ذلك كتبٌ كانت نجوماً زينت سماء المكتبة العربية، ومدحها القاصي والداني، وما «سير أعلام النبلاء» للذهبي، و«تهذيب الكمال» للمزي، و«صحيح ابن حبان»، و«شرح مشكل الآثار»، و«توضيح المشتبه» إلا أمثلة على ذلك.

ثم كان من توفيق الله أن تتصدى المؤسسة لمشروع «الموسوعة الحديثية الكاملة» بصحيحها وضعيفها، وكان أول الغيث في هذا «مسند الإمام أحمد» الذي صدر في خمسين مجلداً بعد أكثر من عشر سنوات من الجهد البشري والفكري و المادي، ليكون كتاب الكتب وجامع المجاميع.

وتسعى المؤسسة إلى هدف هامٍّ وهو إيصال الكتاب المفيد الهادف إلى القارئ الذي يطلبه ويحتاجه، في دقة وإتقان ومنهجية، إضافة إلى المظهر الحسن، محاولة بلوغ الصورة الفضلىٰ شكلاً ومضموناً، واضعة في سبيل ذلك كل ما تكوَّن لديها من خبرات في هذا المجال على مدى سنوات طويلة.

وهي بهذا تحاول المحافظة على التميز في إصداراتها عامة، وفي ما يجب حفظه والاعتناء به وخدمته من تراث هذه الأمة على وجه الخصوص.

وتتطلع مؤسستنا إلى تواصل حقيقي بينها وبين قرائها في كل ما من شأنه الرقيُّ بهذه الاستراتيجية.

واللهَ نسأل أن يمن علينا بالتوفيق والتأييد، ونستعينه أن يأخذ بأيدينا لما فيه خير هذه الأمة.

مؤسسة الرسالة

obeikandl.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبيه وآله، وبعد:

لعل القارئ ـ الذي اطلع من هذا الكتاب على مجرد العنوان ـ يتساءل عن أي عصر ينتمي إليه هذا التأليف وصاحبه، فإن التنجيم ظاهرة قديمة جدا، وإذا كان في ماضي البشرية وطفولتها ما يسوغ قيام هذا الفن وما يدفع إلى الاعتقاد به والتصديق بمضامينه... فإن حال الناس اليوم مختلف، فقد ظهر العلم الحديث وحقق إنجازات ضخمة، خصوصا في مجال علم الفلك واستكشاف الفضاء، ووصل الإنسان ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ إلى كثير من الكواكب، كالقمر والمريخ، ودرسها وبين مكوناتها، وبذلك حطم الأوهام القديمة حولها... فمن ـ بعد هذا كله ـ يهتم بالتنجيم وآثار النجوم على حياتنا، أو يصدق بشيء من هذه الأساطير والخرافات... بقايا الإنسانية البدائية...؟

إن هذا السؤال وجيه مقبول إذا طرحه المثقف العادي، لكنه ليس كذلك عند أهل الاختصاص، من علماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا.. ونحوهم ممن يدرس السلوك النفسي والفكري للإنسان المعاصر، إذ بالنسبة لهؤلاء يعتبر وجود التنجيم وانتشاره مسألة بديهية لا تناقش. وذلك لأن في هذا الموضوع ناحيتين متمايزتين:

الأولى ـ اهتمام الإنسان المعاصر بالتنجيم، ونحوه من الفنون الخفية كالعرافة والسحر والكيمياء القديمة... فهذا الاهتمام ثابت، تؤكده كثير من الدراسات النظرية والأبحاث الميدانية واستطلاعات الرأي، بل كل المؤشرات تدل على أن للتنجيم مستقبلا «باهرا» في عالمنا هذا. ولذلك يشكل التصديق بالتنجيم واستشارة المنجمين ظاهرة عالمية ثابتة، غزت مختلف المجتمعات، واستشرت في جميع

الطبقات، ولم ينفع في الحد منها لا التقدم العلمي الحاصل ولا العقلانية الحديثة التي بدأت تتراجع، لأسباب ليس هذا موضع بسطها. وفي كتابي هذا تفصيل هذه الناحية من الموضوع، أعني استمرار التنجيم إلى اليوم، خصوصا في الفصل الثالث.

الثانية ـ تفسير هذا الاهتمام المتزايد بالتنجيم. وذلك أن العلماء والمفكرين ـ اليوم ـ وإن اتفقوا على حقيقة انتشار التنجيم والمنجمين في الحضارة الحديثة، إلا أنهم يضطربون في تفسير هذه الظاهرة و يحارون في تعليلها، خصوصا أهل العلم من الغربيين، حتى إنهم يعتبرون أن فهم هذه الظاهرة يشكل أحد أهم التحديات والأسئلة المطروحة على العلوم النفسية والاجتماعية. وقد عالجت هذه المسألة المعقدة في الفصل الثالث خاصة.

وهذا يكشف لك أن الإنسان هو الإنسان، وأن تقدم المعارف، وتطور التقنية، وثورة الإعلام... كل ذلك لم يغير كثيرا من الطبيعة العميقة للإنسان... الإنسان الذي يحتاج إلى عقيدة يؤمن بها وإلى غيب يصدق به وإلى تعبد تسكن به نفسه...

وهنا يأتي دور الإسلام، الدين الخاتم، ليكشف لنا عن الصواب والخطأ في هذا الفن، الذي هو التنجيم، ويقدم لنا العقيدة الصحيحة في الموضوع، وليرشدنا أيضا إلى حقيقة علاقتنا بهذا الكون الفسيح، بما فيه من سماوات وكواكب ونجوم..

وهذا ما فصلت الحديث فيه في الفصلين الرابع والخامس. بينما خصصت الفصل السادس لنقد التنجيم، والسابع لدراسة رأي الفخر الرازي في هذا الفن، وكان هذا فرصة لي لكي أدلي بدلوي في هذا الموضوع. ثم ختمت هذا الكتاب بفصل ثامن عن الأحكام الفقهية للتنجيم والمنجمين.

وقد مهدت لهذا كله بفصلين: الأول، عن تاريخ التنجيم، والثاني عن مبادئه وقواعده، فهذان مدخلان ضروريان لفهم هذه الظاهرة، فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

ثم إن لموضوع التنجيم وحكمه في الإسلام أهمية خاصة تتعلق بأحد أهم السلوكات المعرفية للإنسان، وهو : التوقع... توقع المستقبل واستشرافه.

إننا نطرح هذا السؤال: ما هو موقع التوقع ـ باعتباره أسلوبا في الإدراك ـ في

الإسلام، وهل يجيز هذا الدين استشراف المستقبل وتكوين توقعات عنه، أم أن المستقبل غيب، والغيب لا سبيل إلى إدراكه، بل لا يجوز التعرض له؟

وهو سؤال ضخم عالجته في كتابين لي، وهما: «الغيب والمستقبل»، و«الوجود بين مبدأي النظام والسببية...» لكنني وجدت أن كثيرا من عناصر الإجابة على هذا السؤال توجد في النصوص الشرعية والآراء الفقهية التي تخص بعض أساليب التنبؤ قديما، وأهمها: التنجيم والكهانة. فإن القرآن الكريم والسنة النبوية تعرضا لذين الطريقين في «التعرف على المستقبل» بما يكفي ليس فقط لبناء مذهبية إسلامية أصيلة في هذين الموضوعين، بل أيضا بما يعين على استخلاص واستنتاج عناصر ما يمكن تسميته بـ «نظرية المعرفة الإسلامية في التوقع». ولهذا أيضا درست ظاهرة الكهانة والعرافة في كتاب مستقل.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يبارك لي في هذا العمل، وأن يغفر لي ما قد أكون أخطأت فيه، ويهديني إلى الحق والصواب، ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾...

تمهيد

التنجيم: حده وأقسامه:

بصفة عامة، نميز ـ في الدراسات المتعلقة بالنجوم ـ بين نوعين، وهو تمييز قديم، توارد كثير من علمائنا على ذكره[١]:

النوع الأول: وهو العلم بأسماء الكواكب ومناظرها ومطالعها ومساقطها وسيرها والاهتداء بها[٢]. و يسمى بعلم النجوم التعليمي البرهاني[٣]. قال الفارابي: وهو يفحص عن أشكال الأجسام السماوية وأوضاع بعضها من بعض ومراتبها في العالم ومقادير أجرامها. .ومقادير أبعاد بعضها من بعض. .وكذا حركات هذه الأجسام كم هي، وما أصنافها وجهاتها وبروجها، وهل كل الكواكب تتحرك وكيف. .ثم مسائل كسوف الشمس والقمر[٤]. .وغير ذلك مما كان يشكل قديما علم الهيئة، ويطلق عليه اليوم علم الفلك.

النوع الثاني: وهو الذي نعنيه بالتنجيم اليوم، وقد كان يسمى بعلم النجوم أو علم النجوم الطبيعي أو علم النجامة أو أحكام النجوم أو صناعة النجوم، والمشتغل به هو الأحكامي أو المنجم[٥].

---

(١) القول في علم النجوم، للخطيب البغدادي، ص ١٢٦، ١٦٨. معالم السنن، للخطابي، ٤/ ٢١٢ ـ ٢١٣.. طبقات الأمم، لصاعد الأندلسي، ص ٨٠. فتاوى ابن تيمية، ٣٥/ ١٨١. (ترجمة عنوان الكتاب: آراء ابن سينا في التنجيم) Mehren :Vues d'Avicenne sur l'astrologie, p18

(٢) القول في علم النجوم، ص ١٢٦، والفارابي هو أبو نصر محمد بن طرخان، فيلسوف كبير، نشأ بالعراق، وصنف كثيرا. توفي سنة ٣٣٩هـ . عن الأعلام، للزركلي، ٧/ ٢٤٢.

(٣) طبقات الأمم، ص ٨٠.

(٤) إحصاء العلوم، للفارابي أبو نصر، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٥) طبقات الأمم، ص ٨٠. دائرة المعارف الإسلامية، مقال: تنجيم، ٥/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠. وعلى القارئ في التراث الإسلامي أن يكون حذرا إذا قرأ أن لفلان كتابا في النجوم، أو اشتغل بعلم النجوم... أو نحو =

وقد عرفه الفارابي بأنه «علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل، وعلى كثير مما هو الآن موجود، وعلى كثير مما تقدم»[١]. أو نقول ـ كما قال ابن تيمية ـ :التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية[٢]. أو كما قال ابن الأكفاني: «علم أحكام النجوم علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكيلات الفلكية على الحوادث السفلية»[٣]. فمن أوضاع الأفلاك والكواكب، من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع، يستدل المنجم على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان[٤].

لكن التنجيم ينبني على الفلك، بمعنى أنه يستعمل بعض نتائج هذا العلم، لذا كانت الثقافة الفلكية ضرورية للمنجم، يقول البيروني ـ وهو أحد من درس العلمين جيدا ـ : «إن الإحاطة بهيئة العالم وكيفية السماء والأرض وما بينهما، على وجه الأخبار المأخوذة بالتقليد،نافعة جدا في صناعة التنجيم، لأن بها تقع للمستمع درجة يعتاد بها الألفاظ الجارية فيما بين أهلها ويسهل تصوره لمعانيها، حتى إذا عاد عليها (كان) متعرفا وجوه عللها وبراهينها. . .ولذلك عملت هذه التذكرة. .وابتدأت بالهندسة والحساب والعدد، ثم هيئة العالم، ثم أحكام النجوم، لأن الإنسان لا يستحق سمة التنجيم إلا باستيفاء هذه الفنون الأربعة»[٥].

= ذلك، إذ يمكن المقصود هو علم الهيئة أو يكون هو التنجيم. وفي اللغات اللاتينية تفرقة بينة بين ذين الفنين، ففي الفرنسية مثلا : علم الهيئة أو الفلك هو Astronomie، وعلم التنجيم هو .Astrologie أما اليوم فلا خوف من هذا الخلط.. أما اليوم فلا خوف من هذا الخلط.

(١) إحصاء العلوم، ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) الفتاوى، ٣٥/ ١٩٢. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٣٠٤، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، وابن تيمية هو أحمد بن عبد الحليم، الإمام، صاحب التصانيف. توفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ انظر : الأعلام، لخير الدين الزركلي، ١/ ١٤٠.

(٣) في كتابه إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، ص ٦٦. وهو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري، المعروف بابن الأكفاني، أبو عبد الله رضي الدين. طبيب ورياضي، توفي بالقاهرة سنة ٧٤٩هـ . من كتبه: نخب الذخائر في أحوال الجواهر. اللباب في الحساب. عن معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ٨/ ٢٠٠.

(٤) مفتاح السعادة ومصباح دار السيادة، لطاش كبرى زاده، ١/ ٣١٣. وتبعه حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٩٣٠.

(٥) مخطوط: التفهيم لصناعة التنجيم، ص ٧. وهو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، =

ويتنوع التنجيم إلى نوعين رئيسيين[١]:

١ ـ تنجيم عام يتعلق بمستقبل جماعة أو مدينة أو شعب أو حتى بمستقبل الإنسانية كلها. وغالبا ما يكون موضوع التنبؤ هنا سياسيا، كخلافة الملك، أو حربيا كتحديد الظافر في المعركة، أو يتعلق بكارثة طبيعية مقبلة كزلزال أو فيضان.. أو نحو ذلك.

٢ ـ تنجيم خاص، يبحث عن مستقبل فرد معين وأحداث حياته المقبلة. وهذا بدوره قد ينقسم إلى التنجيم الذي يعتمد على الطالع الفلكي، فهو يتعلق بحياة الشخص من مولده إلى وفاته؛ وإلى تنجيم آني، يرشد السائل إلى طريقة اتخاذ قرار أو الاستفادة من وضع طارئ.

= رياضي وفلكي وطبيب ومؤرخ. سافر إلى الهند ومكث فيها سنين. ودرس كثيرا من علوم اليونان والهند. له كشوفات هامة في الفلك والرياضيات. وهو كثير التصنيف. من كتبه: الآثار الباقية عن القرون الخالية. مقاليد علم الهيئة. الصيدلة في الطب... معجم المؤلفين، ٨/ ٢٤١.

(١) (الكتاب معناه في اليونانية: الكتب الأربعة)Ptolémée : Tétrabible, p 69 . وانظر:

Marcel Boll: Quelques sciences captivantes

(Ondes humaines? Délires collectifs. Hypnotisme. Psychanalyse. Suggestion. Métapsychie. Astrologie.

Spiritisme. Radiesthésie), p :190.